قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وما روي ان مناديا ينادي من
السماء ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم اذا خلقوا علموا لماذا خلقوا وكذلك يقول السلف
فعن ابي بكر رضي الله عنه قال وددت اني كنت خضراء تأكلني الدواب من مخافة العذاب وعن عمر رضي الله عنه
انه سمع انسانا يقرأ هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ليتها تمت
وقال ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وددت اني كنت كبشا فيذبحني اهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقي
ولم اخلق وعن وهب بن منبه خلق ابن ادم احمق ولولا حمقه ما هناه عيش وعن الفضيل
اني لا اغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس هؤلاء يعاينون القيمة انما
اغبط من لم يخلق وعن عطاء السلمي لو ان النار اوقدت فقيل من التوى فيها صار لا شيء
لخشيت ان اموت من الفرح قبل ان اصل الى النار فالامر اذا ايها الرجل شديد كما تقول
بل اشد واعظم مما تظن وتتوهم ولكنه امر سبق في العلم القديم وتدبير اجراه العزيز العليم فلا
حيلة للعبد الا بذل المجهود في العبودية والاعتصام بحبل الله والابتهال دائما الى الله تعالى عسى
ان يرحمه الله فيسلمه بفضله واما قولك كل هذا لماذا ففي هذا الكلام يدل منك على غفلة عظيمة
بل الصواب ان تقول كل هذا في جنب ما يطلبه العبد الضعيف ماذا اتدري ما يطلب ايها العبد
الضعيف اقل ما يطلبه على الجملة شيئان احدهما السلامة في الدارين والثاني الملك في الدارين
اما السلامة فان الدنيا وفتنتها وغوائلها بحيث لم يسلم منها الملائكة المقربون وقد سمعت
حديث هاروت وماروت حتى روي انه اذا عرج بروح العبد الى السماء تقول ملائكة السموات
متعجبين كيف نجا هذا من دار فيها فسد خيارنا وان الاخرة في اهوالها وشدائدها بحيث يصرخ
فيها الانبياء والرسل نفسي نفسي لا اسئلك اليوم الا نفسي حتى روي انه لو كان الرجل عمل عمل
سبعين نبيا لظن انه لا ينجو فمن اراد ان يسلم من فتن هذه فيخرج منها بالاسلام سالما لا
تصيبه فتنة ومن اهوال هذه فيدخل الجنة سالما لا تصيبه نكبة ايكون ذلك امرا هينا واما
الملك والكرامة فان الملك نفاذ التصرف والمنعة وغاية ذلك بالحقيقة في الدنيا لاولياء الله

والاصفيا

واصفيائه الراضين بقضاء الله البر والبحر والارض لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهب وفضة والانس
والجن والبهائم والطيور لهم مسخرون لا يشاؤون شيئا الا وهو كائن لانهم لا يشاؤون الا ما يشاء الله
وما يشاء الله كان ولا يهابون من الخلق ويهابهم كل الخلق ولا يخدمون احدا الا الله ويخدمهم كل من دون
الله واين ملوك الدنيا بعشر معشار هذه الرتبة بل هم اقل واذل واما ملك الاخرة فيقول الله تعالى
واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا واعظم مما يقوله فيه رب العزة انه ملك كبير وانت تعلم ان
الدنيا باسرها وان تعالى من اولها الى اخرها القليل ونصيب احدنا من هذا القليل قليل ثم الواحد
منا قد يبذل ماله وروحه حتى ربما يظفر بقدر قليل من هذا القليل في بقاء قليل وان حصل ذلك فبعد
بل بعيط ولا يستكثر ما يبذل فيه من المال والنفس نحو ما ذكر عن امرئ القيس بن حجر الشاعر الملك حيث
يقول بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصر فقلت له لا تبك عينك
انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا فكيف حال من يطلب الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم ايستكثر
مع ذلك ان يصلي ركعتين لله تعالى او ينفق درهمين او يسهر ليلتين كلا بل لو كان له الف نفس والف
الف روح والف الف عمر مثل عمر الدنيا واكثر فبذل ذلك كله في هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا
ولئن ظفر بعده بما طلب لكان ذلك غنما عظيما وفضلا من الله اعطاه كثيرا فتنبه ايها المسكين من
رقدة الغافلين ثم اني لما تأملت ما يعطيه الله سبحانه العبد اذا اطاعه ولزم خدمته وسلك
هذا الطريق عمره فوجدتها على الجملة اربعين كرامة وخلعة عشرون منها في الدنيا وعشرون في
العقبى اما التي في الدنيا فالاول ان يذكره الله تعالى ويثني عليه واكرم بعبد يذكره رب العزة في ذكره و
ثنائه الثاني ان يشكره جل جلاله ويعظمه ولو شكرك مخلوق ضعيف مثلك وعظمك لفرحت
به فكيف باله الاولين والاخرين الثالث ان يحبه ولو احبك رئيس محلة او امير بلدة لافتخرت
بذلك وانتفعت به في مواطن عزيزة فكيف بمحبة رب العالمين الرابعة ان يكون له وكيلا
يدبر اموره الخامسة ان يكون لرزقه كفيلا يوجه اليه من حال الى حال من غير تعب او وبال السادسة
ان يكون له نصيرا يكفيه كل عدو ويدفع عنه كل قاصد بسوء السابعة ان يكون له انيسا لا يستوحش